المحور الثاني: بوادر نشأة وظهور علم الإجتماع

1. عصر الأنوار
2. الثورة الفرنسيّة والصناعيّة
3. التحقيقات الميدانيّة

تمهيد:

لم يظهر علم الاجتماع كعلم مستقل عن طريق الصدفة بل هيّئت له عدّة ظروف اقتصادية، سياسيّة وفكريّ، حيث يعتبر آخر علم انفصل عن الفلسفة، وكان ذلك في القرن 19م، ولكن وجب التمييز بين علم الاجتماع النظري والتطبيقي، فالأوّل يعتبر امتدادا للفكر الاجتماعي القديم والفلسفة الاجتماعية، بحيث يمتد إلى غاية إميل دوركايم، أمّا الثاني فهم وليد التحقيقات الميدانيّة، ولكن قبل التفصيل في هذا ارتأينا عرض العوامل الّتي ساهمت في نشأة هذا العلم.

. أهداف المحور الثاني

يهدف القسم الثاني إلى:

- معرفة العوامل التي ساهمت في بناء وظهور علم الاجتماع كعلم قائم بذاته.
- معرفة أهم المؤسسين لعلم الاجتماع من خلال تعريفاتهم المتباينة لعلم الاجتماع.
- الاستطلاع على أهم النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية ومفاهيمها.

1. عصر الأنوار:

يسمّى عصر الأنوار بعصر الاستنارة أو عصر الإفصاح، ويرتبط هذا العصر بفترة لبقرن 18م الّذي عرف تطوّرا كبيرا من الناحية الفكريّة والعلميّة، ويعتبر هذا العصر أيضا ثورة فكريّة مناهضة للفكر الدّيني (اللاّهوتي) الكنسي، حيث ظهر مجموعة من الفلاسفة في هذا العصر أطلق عليهم فلاسفة عصر الأنوار، الّذين دافعوا عن مفاهيم ومقولات فلسفيّة واجتماعيّة منها: الحريّة، المساواة والأخوّة، حيث كان هدفهم الوصول للعدالة الاجتماعيّة، والّذي بدوره أصبح من المفاهيم المهمّة في علم الاجتماع، ومن أعلام

هذا العصر نجد التنويريين منهم: مونتسكيو من خلال مؤلّفه روح القوانين، جون جاك روسوفي مؤلّفه إميل أو في التربية (3)[3]، كما نجد الموسوعيين مثل: ديدرو، دلومبيير، فولتير.

2. الثورة الفرنسيّة والصناعيّة:

يرى الكثير من علماء الاجتماع أنّ علم الاجتماع وليد الثورتين:

الثورة الفرنسية: وهي ثورة سياسية وعسكرية، والثورة الصناعية وهي ثورة اقتصادية، والذين ساهموا في تفجير الثورة الفرنسية هم فلاسفة الأنوار، حيث حملت هذه الثورة شعارا متمثلا في: الأخوة،الحرية، المساواة، وقد قام بتفجير هذه الثورة طبقة البرجوازيين بالتحالف مع العمال ضد الكنيسة والإقطاعيين للقضاء نهائيا على النظام الإقطاعي، أي رجال الدّين والنبلاء.

بعد نجاح هذه الثورة وهدم النظام الكنسي الإقطاعي بدأ التفكير في بناء مجتمع جديد يقوم على الحرية، فتصوّر أوجيست كونت أنّ السلطة يجب أن تكون بيد الوضعيين (العلماء)، أمّا سان سيمون فيرى يأنّ السلطة تكون بيد المنتجين (التكنوقراطيين)، أمّا دوركهايم فذهب بالقول أنّ السلطة يجب أن تكون بيد المربّي (4)[4].

3. التحقيقات الميدانيّة:

إنّ التحالف الّذي تمّ بين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة لم يدم طويلا، حيث استولت البرجوازية على السلطة، وظلّت الطبقة العاملة أو الشغيلة تعاني من ظروف ماديّة واجتماعية مزرية ونتيجة تزايد أعدادها، وبخاصّة على إثر نزوحها من الأرياف إلى المدن أصبحت تمثّل خطرا عليها، وطبقة قويّة في نفس الوقت، وخاصّة إذا ما تشكّل وعيها بذاتها كقوّة تملك القدرة على التغيير والثورة والإطاحة بالطبقة البرجوازية، ولتفادي هذه الخطورة قام جماعة من الباحثين من علماء الاقتصاد، المؤرّخين والأطبّاء دون أن يكونوا من علماء الاجتماع محترفين في ميدان التحقيقات الميدانيّة، استهدفت الطبقة العاملة لمعاينة ظروفها الماديّة والاجتماعيّة، وتقديم المساعدات لها، ومن أشهر هؤلاء المحقّقين الميدانيين: فيلارمي، لوبلاي...، حيث استعمل منهج دراسة الحالة، وكشف عن الفقر والمعانات الماديّة الّتي تعيشها أسر الطبقة العاملة واكتفى الآخرون بالقول أنّ الطبقة العاملة تعيش أحسن ممّا كانت عليه من قبل.

إنّ هذه التحقيقات الميدانيّة الّتي كان موضوعها الطبقة العاملة لم تكن حكرا على البرجوازيين، بل كانت موضوعا في غاية الأهمية لمفكّرين ماركسيين، فقد قام فريديريك انجلس بتحقيق ميداني بمصنع مانشستر في بريطانيا، واكتشف أنّ هناك طبقة جديدة لا تملك سوى قوّة عملها وطبقة أخرى تملك وسائل الإنتاج

خلاصة:

كان للتفكير الاجتماعي أثر الكبير في عمليّة البناء الّتي أسّست لعلم الاجتماع كعلم قائم بذاته، وبانفصاله عن الفلسفة ركّز على اعتماد منهج يسير وفقه، فكان الفكر التنويري من البوادر الأولى الّتي سمحت لبناء اللّبنة الأولى لهذا العلم، علما أنّ انفجار الثورة الفرنسيّة كان عاملا سياسيا مهما في التحوّل الفكري والممارساتي، في حين تمثّل التحقيقات الميدانيّة خطوة جديدة في علم الاجتماع .

إنّ هذه التحقيقات الميدانيّة بشقيها اللّيبرالي والماركسي قد ساهمت في نشأة علم الاجتماع التطبيقي الّذي انتقل من المستوى النظري إلى المستوى النظري،

قائمة المراجع

[1] أنطوني غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة: فايز الصيّاغ، المنظمة العربيّة للترجمة، مؤسسة الترجمان، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروتّ لبنان، الطبعة الأولى، 2005.

[3] جون ليتشي، ترجمة: فاتن البستاني، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيويّة إلى ما بعد الحداثة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008.

[4] Raymond Boudon et autre, Dictionnaire de Sociologie ,Larousse, 2005.

[5] George Simmel : Sociologie et épistémologie , introduction : Julien Freund ., Presses Universitaires de France